International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

الفكاهة والسخرية في شعر يحيى بن حكم الغزال: دراسة تحليلية

أ. جواهر محمد علي خالد. محاضر مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا

تاريخ استلام البحث: 2024/11/01 **تاريخ نشر البحث: 2024/11/19** **المجلد: 6** **العدد: 1**

الملخص:
يسعى البحث إلى الكشف عن عنصري الفكاهة والسخرية في شعر يحيى الغزال، والوقوف على الأغراض والمرامي التي يسعى إليها الشاعر من خلال هذا الأسلوب الذي انتهجه بل مال إليه كثيرا في شعره، هل الفكاهة عند الغزال من أجل الفكاهة فقط أم هناك أهدافا أخرى وراءها، للوقوف على كل ذلك اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف الظاهرة ثم يخضعها للتحليل العلمي الدقيق ليصل إلى مراده من بحثه، كما اتبع كذلك المنهج الاستقرائي إطارا ومساقًا لهذه الدراسة بغية الوصول إلى نتائج تقرب متباعدات الأفكار في ذهن القارئ.

الكلمات المفتاحية: الفكاهة-السخرية-الغزال-الدعابة-الأندلس

Humor and Sarcasm in the Poetry of Yahya bin Hakam Al-Ghazal: An Analytical Study

Jawaher Mohammed Ali Ateeyah, Assistant Lecturer, Department of Arabic Language, Faculty of Arts Kufrah, University of Benghazi, Libya
Corresponding author: Jawaher Mohammed Ali Ateeyah **Email**: jejeabokhalid@gmail.com

RECIEVED: 01 November 2024 **PUBLISHED:** 19 November 2024 **DOI:** 10.32996/ijalls.2024.6.1.9

Abstract
The research seeks to reveal the elements of humor and sarcasm in the poetry of Yahya al-Ghazal and to identify the purposes and goals that the poet seeks through this style that he adopted, and even leaned towards it a lot in his poetry. Is humor in al-Ghazal for the sake of humor only, or are there other goals behind it, to find out all The research followed the descriptive analytical method, which describes the phenomenon and then subjects it to precise scientific analysis in order to reach its goal in its research. It also followed the inductive method as a framework and path for this study in order to reach results that bring divergent ideas closer together in the mind of the reader.
Keywords: Humor - sarcasm - ghazal - humor - Andalusia.

المقدمـــة

عالج البحث في بداياته مفهوم مصطلحي الفكاهة والسخرية في اللغة والاصطلاح، ثم حاول التفريق بين المصطلحين حيث يوجد بينهما فرق واضح رغم تقاربهما، فما كان غرضه أو هدفه الإضحاك فهو فكاهة، وما كان له غرض هادف واضح سواءً أكان معينًا أو غير معين حين إلقاء النكتة فهو السخرية، ثم درس البحث هذه المصطلحات في شعر ابن حكم الغزال.

خرجت الدراسة بنتائج عدة أهمها:

- إنّ نزعة السخرية والفكاهة عند يحيى الغزال لها علاقة وثيقة بنظرته الفلسفية إلى الأشياء والحياة.

- تمثل الفكاهة والسخرية عنده منهجًا نقديًا، فهو ناقد اجتماعي بامتياز استطاع أن يواجه المجتمع بسخريته.

- كان كثير الاستخدام للصور البديعية في فكاهته وسخريته خاصة التورية وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه وكذلك السجع وغيرها.

- لم تسلم المرأة من سخريته وفكاهته، فقد عالج بها كثيرًا من قضايا المرأة ذات الطابع الاجتماعي.

أوصت الدراسة بسبر أغوار الفكاهة والسخرية في الشعر الأندلسي لكشف ما ورائها من قضايا وأغراض.

الفكاهة والسخرية بين اللغة والاصطلاح:

لابد لنا من الوقوف على مفهومي الفكاهة والسخرية ليتضح لنا المبتغى من وراء هذه الدراسة، فقد أوردت المعاجم عدداً من المعاني التي دارت في مجملها حول المُزاح والظرف والضحك والاستهزاء.

أولًا_ الفكاهة لغة واصطلاحًا:

الفُكاهة بالضم المُزاح، وبالفتح مصدر (فَكِه) الرجل من باب سَلِمَ فهو (فَكِه) إذا كان طيب النفس مزَّاحًا، و(الفَكِة) أيضًا البطر الأشر، وقرئ فَظلتُم ((i) أي أشرين، و(فاكهين) أي ناعمين، والمفاكهة: الممازحة و(تفكه) تعجب وقيل تندم قال تعال:)وَتَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(في التنزيل: أي تندمون، وتفكه بالشيء تمتع به(ii). والفكه الذي ينال أعراض الناس, وفكههم بملح الكلام, أي: أطرفهم وفكه والفاكهة وفكيهان: وهو)تَفَكَّهون طيب النفس بالمزاح والفكه: الذي يحدِّث أصحابه ويُضحكهم, وقوله: تركت القوم يتفكّهون بفلان, أي: يغتابونه ويتناولون منه(iii) وتفاكه القوم: تمازحوا، وفاكهه: مازحه, والأفكوهة: الأعجوبة، والفاكه من الرجال: الناعم العيش، والفاكهاني: بائع الفاكهة, والفكهان: الضحاك اللعوب(iv)، وفكه: "الفاء والكاف والهاء أصل صحيح يدلّ على طيب واستطابة, من ذلك الرجل الفكه الطيب النفس"(v) ومن الباب الفاكهة, لأنها تستطاب وتستظرف, ومن ذلك الباب المفاكهة: وهي الممازحة وما يستحلى من الكلام.
ومن الباب أفكهت الناقة والشاة: إذا درتا عند أكل الربيع وكان اللبن أدنى خثورة وهو أطيب اللبن(vi)، وهكذا يمكن القول إنّ كتب المعاجم ذكرت مادة (فكه) في خمسة معان:(vii)

1- المُزاح والممازحة.
2- اغتياب الناس والنيل من أعراضهم, ولعلّ الرابط بين المعنى الأول والثاني أن الذي يغتاب الناس قد تأتي غيبته على صورة تُضحك الناس من الشخص الذي يغتابه ويكون الضحك هو المعنى الجامع.
3- العيش الناعم.
4- الأعجوبة: فلا بُدّ من أنّ الذي يضحك ويمزح لا يأتي بالشيء المألوف دائمًا بل دائمًا بالشيء الغريب والعجيب لكي يُثير الضحك.
5- الطيب في النفس.

أما اصطلاحًا فالفكاهة "هي تلك الصفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تُثير الضحك لدى النّظارة أو القراء"(viii).
أو هي "عبارة عن حديث مستملح وسواه أو طرفة أو نادرة أو ملحة أو نكتة أو حكاية موجزة يسرد فيها الراوي حادثاً واقعياً أو مُتخيّلاً فيثير إعجاب السامعين ويبعث فيهم الضحك"(ix)، أو هي عبارة "عن نوع من الكلام يُثير الضحك وينحو إلى تسلية قرّائه"(x) وعرفها الحوفي بأنها: " كلٌّ باعث على الضحك وإنْ اختلف الاسم"(xi)، وذلك بعد أنْ قال: "إنّ كُلاً من الغفلة والتغافل والتناقض والتخلص والفكه والدعابة والمزاح والتهكم والسخرية واللعب المعنوي واللعب اللفظي كُلٌّ هذه فكاهة إذ كان مُثيراً للضحك"(xii).
فالفكاهة تعتبر من العناصر الأدبية الهامة التي لا غنى عنها؛ "لأن الضحك جزء من حياتنا يؤدي وظيفة روحية فسيولوجية، فيجب أن يكون له في سائر الفنون ما يغذيه ويبعث عليه، ولأن الفكاهة تؤدي وظيفة اجتماعية كبيرة في تسلية النفوس وتقويم الأخلاق والعمل بتقاليد المجتمعات وموصفاتها"(xiii).

فالأدب الفكاهي يهدف لإيصال الفكاهة والضحك وتحقيق المتعة والترفيه، فهو يركز على خلق تجربة قراءة خفيفة ومسلية، غالبًا ما يعتمد على التلاعب بالألفاظ الذكية، والحوار الذكي والمواقف المسلية للترفيه عن القارئ.

لم يكن الضحك والمزاح من الأمور المستهجنة أو المذمومة عند العرب، بل كانوا _على العكس من ذلك _ من أكثر الشعوب شغفًا بالضحك والفكاهة، وقد انعكس هذا الشغف على لغتهم وآدابهم، ومن الأسماء التي شاعت بين العرب محرزة المكانة المميزة للضحك منها: بسَّام، وضحاك، بِشر، بشير، فرحات.(xiv)، إذ كانت العرب _ كما يقول ابن إسحاق _ " إذا مدحت رجلًا قالت: هو ضحوك السن، بسام العشيات، هش إلى الضيف، وإذا ذمتهُ قالت: هو عبوس الوجنة، جهم المحيا، كريه المنظر"(xv).

ثانيًا: السخرية لغة واصطلاحًا:

سَخِرَ منه من باب طَرِبَ و(سُخْرا) بضمتين و (مُسْخَرًا) بوزن مَذهبَ، وحكى أبو زيد (سَخِرَ) به وهو أردا اللغتين، وقال الأخفش: سَخِرَ منه ليتخذ بعضهم بعضًا (وبه وضحك منه وبه وهزئ منه وبه، كلٌ يقال والاسم (السخرية)، و(السُخريُّ) بضم السين وكسرها وقرئ بهما قوله تعالى: (xvi))سخريًا

سَخِرَ: السين والخاء والراء أصل مطَّردٌ مُستقيم يدلُّ على احتقار واستذلال ويُقال منه من باب طرِب وسُخُر بضمتين ومَسخر بوزن مَذهب, وحكى أبو زيد: سخرية وهو أراد اللغتين وقال: سخر منه وضحك منه وبه(xvii).
سَخِرَ منه وبه سَخْرًا سَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا بالضم, وسُخْرَةً سِخرياً وسُخرياً وسُخْرِيَّة: هزئ به(xviii)، والمنتشر هو التأنيث للكلمة, قال الأزهري: قد "يكون نعتاً كقولك: هو لك سُخْرِيٌّ وسُخْرِيَّةٌ، ... مَنْ ذكَّر قال: سُخْرِيّاً، ومن أنّث قال: سُخْرِيَّة"(xix) وقد حذف الموصوف، وتقدير الكلام: هم لك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً (قوم سخرية, وقال الفراء: يُقال: (سَخِرتُ منه ولا يُقال: سَخِرْتُ به) قال الله تعالى: مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ

([xx])، وسَخِرتُ منه هي لغة فصيحة حكى أبو زيد سخرتُ به وهزِئتُ منه وهزئت به كُلٌّ يُقال الاسم السخرية, وقيل: السُّخري بالضم من)الظَّالِمُونَ التسخير وبالكسر من الهزء والضمّ أجود([xxi]).
ولهذا يمكن القول: إنّ السخرية أسلوبٌ من أساليب النقد الموجه للأفراد والجماعات, يحارب عللهم, ويُجابه تقصيرهم, ويُقوّمُ عيوبهم, مهما كانت وسائله وغاياته.([xxii])

السخرية اصطلاحًا:

أما اصطلاحـاً فالسخرية هي "طريقة في الكلام الذي يُعبّر بها الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل، كقولنا للبخيل: ما أكرمك"([xxiii]). وكذلك هي "نوع من الهزء قوامه الإمتاع من إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كلّه على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يُقال"[xxiv]. وهي "منهج جدلي يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغي إذ تغير طريقه في توليد الثنائية والتعليم على البُعد المعرفي"([xxv])، وعرّفها المازني بأنّها: "العبارة عما يثيره المضحك أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التقزز على أنْ تكون الفكاهة عنصراً بارزاً والكلام مفرغ في قالب أدبي"([xxvi]). وعُرّفتْ بأنّها "فنٌّ إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صورة تعزى بمقاومتها, والرد عليها وإيقاف مفعولها، من غير أنْ يلجأ إلى الهجوم المباشر, أو يبدو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام"([xxvii]).
وهي "النقد الضاحك أو التجريح الهازئ, وغرض الساخر هو النقد أوّلاً والإضحاك ثانيًا وهو تصوير الإنسان تصويراً مضحكاً إمّا بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل إلى حدّ الإيلام, أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حتى سلوكه مع المجتمع وكُلٌّ ذلك بطريقة خاصة مباشرة"([xxviii]). وقيل: إنّها "موقف الشاعر الفكري والفني والذاتي، والموجود داخل عمله الفني تجاه مجتمعه بكل ما يحوي، فلغة الشاعر والعلاقات بين الألفاظ بعضها البعض وتصويره الفني وما يحوي من إظهار وإخفاء وكذا فلسفته الشخصية وفكره الذاتي كُلّ هذا يحمل موقفه من مجتمعه"([xxix]). وذهب أحد الباحثين إلى أنّها "العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء، التلميح، اللماحية، التهكم والدعابة.. وذلك بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ ما أو فكرة أو أيّ شيء وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيها"([xxx]). وثمة من يُعرفها بأنّها "أحد أشكال المقاومة أو قوّة خاصة للمقاومة"([xxxi]).
"ولعل الدافع إلى السخرية هو محاولة المجتمع أن يجعل الشخص يتلاءم مع الحياة الاجتماعية"([xxxii]).

العلاقة بين السخرية والهجاء فقد أُختلف في تحديدها وتتضمن([xxxiii]):

1_ صدق المعنى: وهو أن يذكر الشاعر تحليلًا للسخرية، وسببًا يقتنع به السامع.

2_ صدق التصور: وهو أن يكون حُكم الشاعر على المسخور منه صادقًا ومقبولًا ومناسبًا للسبب الذي دعاه للسخرية، ومتى تحقق الشرطان كانت السخرية مرادفة للهجاء ومدرجة ضمنه.

الفكاهة والسخرية والفرق بينهما:

ما كان غرضه أو هدفه الإضحاك فهو فكاهة، وما كان له غرض هادف واضح سواءً أكان معينًا أو غير معين حين إلقاء النكتة فهو السخرية، ولذلك كان المزاح يشمل النوعين: التفكه والسخرية أي الإضحاك واللذع.([xxxiv])

وقد ميز الدكتور عبد العزيز شرف بين الشعر الفكاهي الضاحك والشعر الهجائي الساخر بقوله:" إن الفكاهة في الأول تقوم على العواطف، بينما السخرية في الآخر على العقل؛ فالشعر الفكاهي ذو طبيعة بريئة، بينما الهجاء الشخصي ذو طبيعة عكسية، ذلك أن الفكاهة في الأول تضحك (من)، لكن السخرية في الثاني تضحك (على)([xxxv]).

فالسخرية والفكاهة عنصران مهمان في الأدب حيث تعمل السخرية على تناول قضية ما بطريقة مضحكة ولكن بطريقة تسلط الضوء على العيوب والنواقص، في حين تهدف الفكاهة إلى إدخال السعادة والبهجة إلى النفوس.

ويمكن القول إن الأدب الساخر يرتكز على المحتوى الفكري والسياسي، وعلى الانتقاد والسخرية اللاذعة، بينما الأدب الفكاهي يرتكز على المحتوى الترفيهي والمسلي، وعلى تحقيق الضحك والابتسامة، كما يختلفان في الأسلوب والغرض فالأدب الساخر يستخدم الانتقاد اللاذع للتعبير عن الرأي الساخر أو النقد لشخص أو فكرة أو موقف سياسي أو اجتماعي، بينما يستخدم الأدب الفكاهي الفكاهة والتصوير الكوميدي لتحقيق الضحك أو المتعة.

وتبقى روح الفكاهة لها حضور مميز في الأدب الأندلسي شعرًا ونثرًا، ولقد اقترع الأندلسيون هذا الميدان ببراعة وقوة، وأن يكون التفكه والتطرف من المضامين الشعرية، فهذا يعني أن الشعر كان يؤلفه حس جماعي، تستثيره الدعابة وتنعقد له المجالس الخاصة([xxxvi]).

"وهكذا كانت الفكاهة من الأساليب التعبيرية التي تلامحت فيها الشخصية الأندلسية إن سلبًا وإن إيجابًا، وهي ذات قوة تأثيرية في الحياة الاجتماعية، تخدم المجتمع وتعالج قضاياه بطرائق (الامتاع والمؤانسة)، فكانت النادرة تستخف الوقار وتهيج النشاط وتجلب البشر والسرور"([xxxvii]). مثلت الفكاهة نوعًا من التسلية واللهو حتى صار ذلك علامة تميز شخصية الأندلسي، فقد انتشرت الفكاهة بين عامة الشعراء فنراها في مجالس الأدباء، ولقاءات الأنس وهم يتفكهون بما يعن لهم من أفكار ومما يتراءى أمام أعينهم من مثيرات، وكثيرًا من الأهاجي الاجتماعية قالها الشعراء تفكهًا وتظرفًا وتسلية، وما أكثر ما قالوا حول الثقلاء والبخلاء والمغنيين والقضاة([xxxviii]).

لعل شخصية الشاعر يحيى بن حكم الغزال المرنة، ولما اشتهر به من ظرف وميل إلى الدعابة جعلت الفكاهة تظهر في شعره، وبالتالي كانت هذه الدعابة تلازمه في معظم فنون شعره، وفي أحلك الظروف.

قال عنه ابن حيان: " وكان إذا كتب مضطرًا يضحك من تأمله، له في ذلك نوادر محفوظة، أمسى بها من حجج الله تعالى في الرزق المقسوم"([xxxix]).

إن نزعة السخرية في شعر الغزال ذات علاقة وثيقة بنظرته الفلسفية إلى الأشياء حتى إنه لا يفارق هذه النزعة الساخرة في أحلك المواقف وأشدها عليه، ولذلك ذهب الدكتور إحسان عباس إلى القول: "مما يميزه بين شعراء الأندلس ميزتان كبيرتان: قيام شعره على النظرة الساخرة، ووضوح نظرته الفلسفية القائمة على تجربته"([xl]).

ومن فكاهاته تصوير الموقف الذي يخاطب فيه رجلًا قد جاء يسأله صدقة ويلح في السؤال، فأجابه الغزال يكفي إلحاحك، ثم سأله متهكمًا من أولى بدرهمي أنت أم عيالي؟ واعلم يا هذا! أنني لست ممن يخدع من مثلك، فإنني لا أؤدي الزكاة إلا رغمًا عني، وكأن النقود لا تخرج)[xli]:(مني إلا بالعصر كما يخرج مني زق الشراب، فيقول من الخفيف

قلتُ إذا كرر المقال يكفـــي! أنت أولى بدرهمي أم عِيالـــي؟

لسْتُ ممن يكونُ يَخْدَعُــه مِثـ ـلُــكَ؛ فاعلــمْ؛ بهــذهِ الأقـــوالِ

ما أُؤَدِّي الزَّكاةَ إلا كما يُعْصرُ زِقٌّ مُعسَّلٌ بالحِبـــــــــــــــــالِ**!!**

ومن فكاهات الغزال هذه المقطوعة التي يداعب فيها صاحبه ورفيق رحلته إلى ملك النورمان وهو يحيى بن حبيب وكان يسميه بالمُنيقل، حيث سأله المنيقل عن أبيه، فصمت الغزال، ثم قال له: إن أباه معلم حسن الحساب، ويقصد بخله وإمساك يده، فأجابه المنيقل بأنه قد خلط المدح بالذم، فداعبه الغزال بقوله: إن المدح هو الأدق والأقرب، إذ يقول من الوافر([xlii]):

يُسَائلُنِي المُنيقلُ عن أبيـــهِ وكانَ الصمتُ أدنى للصوابِ

فقلتُ له ولم أظلمـــهُ شيئًا أبوكَ معلِّمٌ حسن الحســاب

فقالَ – للفتى أدبٌ وظُرفٌ - خلطتَ لنا مديحكَ بالسبــابِ

فقلتُ له المديحُ أدقُ فيـــه إذا فكرتَ في حذو الصواب

وفي مشهد آخر مضحك، حيث يقول الغزال إنه قصد شخصًا يسمى (خالد) ليمدحه رغبة في أن ينال منه عطية عظيمة فوق ما كان يأمل، ولكن لم يعطه سوى درهم واحد بشق النفس والمعاناة ، كما يقتلع الحجام ضرسًا صحيحًا بمعاناة وشدة بكاء، يقول من الطويل([xliii]):

قصدتُ بمدحي جاهدًا نحو خالــدٍ أؤمّلُ من جَدواهُ فوقَ مُنائي

تَكَلَّفَهُ بعد انقطاعِ رجَائـــي فلم يُعطني من مالهِ غيرَ درهـــمِ

كما اقتلعَ الحْجَامْ ضِرسًا صحيحةً إذا استُخرجتْ من شدَّةٍ ببكاء**!**

ومن بديع ظرف الغزال، ومداعبته للأمير عبد الرحمن الأوسط الذي قد طلب منه الاستعداد لإحدى السفارات، وقد وعده بكثرة العطايا لزوجته وأولاده فتباطأ الأمير في إنجاز ما وعد ، فكتب الغزال إليه تلك المقطوعة يستنجز الأمير ما وعده إياه، فقال له الغزال من البسيط([xliv]):

أبقى الأميرُ علينا همَّ ما وعَـدَا فما اعتددنا بشيء عندما انفردا

يقول لي ابن شهيدٍ والوزير أبـو عبدالإلهِ وعبد الله قد شَهِـــدَا

لا تأسفن على شيءٍ تخلفـــهُ سَيُسِيعُ المَلِكُ الإجراءَ والصَّفـدا

فقلتُ: لا شك لكني أشبّهُـــهُ بِقبلةِ العاشقِ المعشُوقِ قد رَقَـدَا

فيَنثني عنه لم يَشعُر بِقُبلتِـــهِ ولم يُصِبْ لذة منه ولا رَشَـــدَا

ما كان أحلاهُ في نفسي وأطيَبهُ لو كان ذلك في اليوم الذي وَعَدَا

فشبه الغزال عطاء الأمير بقبلة العاشق للمعشوق وهو نائم، فلا هو يحس ولا ذلك يشعر بنشوة أو لذة، وكان الأجمل والأطيب أن يكون التنفيذ في نفس يوم الوعد.

وتمتزج السخرية بالهجاء وهو يصور الفقهاء بالأفيال، راميًا بذلك إلى التهكم بهم، يقول من الرجز([xlv]):

جاء بجسم الفيل في العيون حتى إذا سار إلى سحنون

كأنما سار إلى جبريـــل فجاء بالتوارة والأنجيـــل

ويقول من المجتث[xlvi]:

لقـــــد سمعتُ عجيـــبًا من آبـــداتِ (يخـامر)

(طه) وسورة (غـــافر) قرأ عليـــــــه غـــــلامٌ

هـــذا لعمري شـــاعرْ! فقـــال: من قـــال هـــذا؟

فَخِفْتُ صـــولـــةَ جائـــر أردتُ صفـــــعَ قفـــــاهُ

مُستعبرًا مُتحـــــــاسِرْ أتيتُ يـــومـــــــا بتيسٍ

فقـالَ: إنّي يُخامِـــــرْ ! فقلتُ: قـــومـــوا اذْبَحُـــوهُ !

في هذه الأبيات يسخر الغزال من القاضي يخامر سخرية تلتمس فيها الطرافة والابتكار، حيث يقول إنه سمع عجيبًا من عجائب يخامر القاضي حيث قرأ عليه غلامه سورتي طه وغافر، فقال يخامر لغلامه يسأله: من قال هذا الشعر؟ إنه لشاعر مجيد، فود الغزال أن يصفعه على قفاه لجهله، ولكن خاف بطشه وظلمه فأتي يومًا بتيس نفيض عبراته في حسرة ولهفة، وطلب الغزال أن يقوم الناس لذبح التيس، فقال التيس: لا تذبحوني إنني يخامر.

ومن ضحايا الغزال القاضي الأسوار بن عقبة، وقد هجاه الغزال بأبيات ساخرة، صوره فيها بالمخادع الذي يبدو وكأنه عن الناس في غربة، ولكنه عكس ذلك إذ أنه يفعل ذلك؛ ليتمكن من الوثوب، وكأنما عيناه عينا هرة تتحفز للانقضاض على الفأر الذي رأته من ثقبه، يقول من المتقارب[xlvii]:

وتحسب من خِبـــه أنـــهُ تراهُ عن عن الناسِ في غُربَهْ

وما ذاك منـه فـلا تـأمَنُـــو هُ إلا لتمكنـــهُ الوثْبَـــــهْ

رأيتُ لـــــه نـــاظِرَيْ هِرةٍ تراءى لها الفأرُ في ثُقْبَـــــهْ !

ويبدو ولع الشاعر في بناء الصورة الساخرة في مشاهده الحكائية جليًا واضحًا، وقد تأتي بعض الصور في لبوس التشخيص على سبيل الدعابة اللطيفة[xlviii] وفي معرض هجائه لرجلين من رجال القاضي معاذ عُرف عنهما شهادة الزور، قال متهكمًا وساخرًا بأنه قد توجه إلى ديكه قائلًا: إذا رأيت وجه الرجلين فتحمل، فقد جاءتك إحدى الفواجع والكوارث، فما كان من الديك إلا إن فاضت دموعه، وقال إن هذين الرجلين كثيرًا ما أبكوني. يقول من الطويل[xlix]:

أتاك أبو حفص ويحيى بنُ مالكٍ فأهلًا وسَهْلًا بالوغى والمعامـعِ

حكتْ فيكَ وقْعَ المُرهفات القواطعِ رجالٌ إذا صَبُّوا عليكَ شهـادةً

أقولُ لديكي إذْ رأيتُ وجوهَهُـم تعزَّ فقد جاءتكَ إحدى الفجائـعِ

وقال: كثيرًا ما أفاضوا مَدامِعي !! رثى واستهلَّتْ عندَ ذاكَ دُموعُهُ

كما لم تسلم المرأة من هجاء الغزال وسخريته، فقد هجا من امرأة تسمى (أم جرج) حيث وصفها بطول اللسان، وحدة الجدال، كما عاب عليها شكلها وصورها بصور منبوذة بقوله من البسيط[l]:

ما تشتفى أم جُرج مِنْ مُلاحـــاةٍ أو تَسْمَعُ الدِّيكَ يَزْفُو عَشْرَ زَفْوَاتِ

جَرْداءُ صَلعَاءُ لم يُبقِ الزمانُ لها إلا لسانًا مُلِحًا بالملامـــــــاتِ

رقَّتْ حَوَاشيهِ واستول منْظَـــرهُ عند التكلُّمِ تحت الحنَّة الحاتـــي

حتى تخالَ لها نفسا تصورهـــا أخرى سِوى نفسها عند الخـذالاتِ

لطمتها لطمةٍ طارتْ وقايتهـــا عن صَلعةٍ ليس فيها خمسَ شعْراتِ

كأنها بيضة الشاري إذا برقـــتْ بالأزق الضَنْكِ تحت المشْرفيـــاتِ

لها حُروف نواتٍ في جوانبَهَـا كقسمة الأرض حيزتْ بالتُّخومـاتِ

وكاهِلٌ كسِنَامِ العنْس حَـــدَّدَهُ طُولُ السّفار وإلحاحُ القُتُـــودات

وعلى سبيل الدعابة والطرافة التي يراها البعض تجاوزًا لا يليق، يهجو الشاعر شخصًا اسمه أبو حازم، حيث يقول من السريع[li]:

سألتُ في النوم أبـي آدمًا فقلتُ والقلبُ به وامـــــقٌ

أابنُكَ باللهِ أبو حـــــــازمٍ صلّى عليك المالكُ الخالقُ؟

فقالَ لي: إنْ كان مِني ومِن نسْلي فحوَّا أمُّكُم طالِـــقٌ!!

فقد صور الشاعر نفسه كأنه يرى في المنام أباه آدم، وكان شديد الحب له ثم يسأله ويستحلفه بالله إن كان أبو حازم من ذريته فيرد آدم عليه السلام: حواء أمكم طالق إن كان أبو حازم من أبنائي.

وهذا الأسلوب الأخير مجحف في حق أب البرية آدم عليه السلام.

الخاتمة

كانت الفكاهة وما زالت تمثل أسلوبًا محببًا لكثير من الشعراء ومثلها السخرية، فقد استخدمها شاعرنا يحيى الغزال وقد أجاد فيهما أي إجادة.

توصلت الدراسة إلى نتائج عدة منها:

- إنّ نزعة السخرية والفكاهة عند يحيى الغزال لها علاقة وثيقة بنظرته الفلسفية إلى الأشياء والحياة.

- تمثل الفكاهة والسخرية عنده منهجًا نقديًا، فهو ناقد اجتماعي بامتياز استطاع أن يوجه المجتمع بسخريته.

- كان كثير الاستخدام للصور البديعية في فكاهته وسخريته خاصة التورية وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه وكذلك السجع وغيرها.

- لم تسلم المرأة من سخريته وفكاهته، فقد عالج بها كثيرا من قضايا المرأة ذات الطابع الاجتماعي.

توصي الدراسة بالتعمق في تحليل شخصية الشاعر يحيى الغزال من خلال شعره كما توصي بسبر أغوار الفكاهة والسخرية في الشعر الأندلسي لكشف ما ورائها من قضايا وأغراض.

الهوامش:

[i] - سورة الدخان، الآية 27.

[ii] - الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، ص444، ط11، مؤسسة الرسالة، 2002م.

[iii] - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ص 3453، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

[iv] - ينظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط ، ج2، ص699، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1392هـ.

[v] - ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج4، ص446، دار الفكر، بيروت، د.ت

[vi] - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص3454.

[vii] - الغضنفري، منتصر عبد القادر، و حمادي، زهراء ميسر، مقالة بعنوان الفكاهة السخرية في شعر أبي دلامة، مجلة كلية التربية، العدد 13، ص1، جامعة بابل، العراق، 2013م.

[viii] - وهبة، مجدي و المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص276، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

[ix] - عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، 194، ط1، دار الملايين، بيروت، 1979م.

[x] - علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص169، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م.

[xi] - الغضنفري، وحمادي، مقالة بعنوان الفكاهة السخرية في شعر أبي دلامة، ص31 نقلًا عن: أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ج1، ص2.

[xii] - المرجع نفسه ص31، نقلًا عن: أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب اصولها وأنواعها ج1، ص2.

[xiii] - أمين، أحمد، فيض الخاطر، ج7، ص183، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

[xiv] - فرعون، إياد، من وجوه الفكاهة، ص9-10، ط1،جروس برس، لبنان، 2000م.

[xv] - ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج6، ص381، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949م.

[xvi] - سورة الزخرف، الآية 32.

[xvii] - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ج3، ص144.

[xviii] - ابن منظور، لسان العرب، ص1963.

[xix] - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام سرحان، ج7، ص167، د.ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ت.

[xx] - سورة الحجرات، الآية11.

[xxi] - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص1963.

[xxii] - الغضنفري، و حمادي، مقالة بعنوان الفكاهة السخرية في شعر أبي دلامة، العدد 13،ص32.

[xxiii] - وهبة، والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص198.

- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ص138.[xxiv]
- علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص110.[xxv]
- المازني، إبراهيم عبد القادر، حصاد الهشيم، ص302، د.ط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2010م.[xxvi]
- الهوال، حامد عبده، السخرية في أدب المازني، ص35، د.ط، الهيأة العامة للكتاب، مصر، 1982م.[xxvii]
- طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص14، ط1، دار التوفيقية، مصر، 1978م.[xxviii]
- عبد الحافظ، صلاح، السخرية وبدايات التحول في الشعر العباسي عند بشار بن برد وأبي نواس، ص1، ط1، دار المعارف، مصر، 1989م. [xxix]
- راغب، نبيل، الأدب الساخر، ص13، ط1، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000م.[xxx]
- شاكر، عبد الحميد، الفكاهة والضحك (رؤية جديدة)، ص52، (سلسلة عالم المعرفة), مطابع السياسة, الكويت, 2003م.[xxxi]
- طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي، ص33.[xxxii]
- الغضنفري، و حمادي، مقالة بعنوان الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلامة، العدد 13، ص4-5[xxxiii]
- طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي، ص10.[xxxiv]
- شرف، عبد العزيز، الأدب الفكاهي، ص62، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1992م. [xxxv]
- ينظر: خريوش، حسين، أدب الفكاهة الأندلسي، ص35-36، د.ط، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، 1982م.[xxxvi]
- المرجع السابق، ص25.[xxxvii]
- ينظر: شلبي، سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الأندلسي، ص198- 199، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1983م.[xxxviii]
- بن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، القسم الأول، المجلد الثاني ، ص593، دار الثقافة، بيروت، 1997م.[xxxix]
- عباس، إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ص166، ط2، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1969م. [xl]
- ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، ص254، دار الثقافة، بيروت، د.ت. - الغزال، يحيى بن [xli] الحكم، ديوانه، تح: محمد رضوان الداية، ص72، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1993م.

- ابن حيان، حيان بن خلف القرطبي، المقتبس، السفر الثاني، تح: محمود علي مكي، ص366، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، [xlii] 2003م.
- الغزال، ديوانه، تح: محمد رضوان الداية، ص27.[xliii]

- ابن حيان، المقتبس، 356/2. [xliv]
- المصدر نفسه، 2/ 251 .[xlv]
- الغزال، ديوانه، ص51-52.[xlvi]
- المصدر نفسه، ص 81.[xlvii]
- اختيار، أسامة، مقالة بنية المشهد الحكائي في شعر يحيى بن حكم الغزال، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد 3-4، ص34 سوريا،2011م. [xlviii]
- الغزال، ديوانه، ص63.[xlix]
- ابن حيان، المقتبس، 351/2.[l]
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، ج2، ص256، دار صادر، بيروت، 1968م. [li]